Print ISSN: 2008 - 7217
Online ISSN: 2383 - 2681
Journal of Arabic Language & Literature
www.jall.um.ac.ir

Journal of Arabic Language & Literature, Vol. 15, No.1 Serial Number.32

Representations of consistency in the discourse of the poem “Sali Al-Ramah Al-Awali” by Safi Al-Din Al-Hilli[1]

Doi:10.22067/jallv15.i1.2202-1108

Abdulbasit Arab Yousefabadi[2]
Assistant Professor in Arabic Language and Literature, University of Zabol, Zabol, Iran

Fatemeh Gooshehneshin
Assistant Professor in Arabic Language and Literature, Payam-e Noor University, Tehran, Iran

Received: 4 February 2023 ▌Received in revised form: 27 April 2023 ▌Accepted: 18 June 2023

Abstract

Consistency is the sum of grammatical premises that make the text a sequence of sentences and paragraphs. It surrounds the text, giving it a sense of sequence and texture. The various linguistic phenomena within it aim to enhance the text, fitting it together and ensuring its continuity. Consistency, through its formal and semantic means, allows us to approach the text from a contemporary linguistic perspective.Based on this perspective, this study observes several coherence tools in the poem "Saly Al-Ramah Al-Awali" by poet Safi Al-Din Al-Hilli (1278-1349) to uncover the mechanisms of textual references, deletion, connection, consistency, repetition, and conjunction. The study concludes that this text has a coherent framework and its parts are connected in a continuous and sequential manner. The mechanisms of textual harmony are clearly visible in the poem.The text contains an abundance of textual coherence tools, accounting for 51% of all coherence mechanisms. This percentage is attributed to the interrelationship between the structures of the poem "Sali Al-Ramah Al-Awali," where grammatical linkage and semantic consistency overlap and interweave. The textual structure reveals a diversity of textual consistency mechanisms, with referral accounting for 30% and repetition also accounting for 30%.

Keywords: Safi al-Din al-Hilli, “Saly Al-Ramah Al-Awali”, consistency, textual.

[1]. This research was done with the financial support of Zabol University with grant number 6107.
[2]. Corresponding author. Email: arabighalam@uoz.ac.ir

اللّغة العربية وآدابها (الفصلية العلمية المحكمة)
www.jall.um.ac.ir
الترقيم الدولي الموحد للطباعة: 7217 – 2008
الترقيم الدولي الموحد الإلكتروني: 2681 – 2383

اللّغة العربية وآدابها، السنة الخامسة عشرة، العدد ١ (الرقم المسلسل ٣٢)، ربيع ١٤٤٤، صص:١٠٤-٩٠

اتّساق الخطاب الشعري في قصيدة «سلي الرماح العوالي» لصفي الدين الحلي[١]

(المقالة المحكمة)

عبدالباسط عرب يوسف‌آبادي (أستاذ مساعد قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة زابل، زابل، إيران، الكاتب المسؤول)[٢]
فاطمة گوشه‌نشين (أستاذة مساعدة قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة بيام نور، طهران، إيران)

Doi:10.22067/jallv15.i1.2202-1108

الملخّص

يحتلّ الاتّساق موقعاً مركزياً في بحوث مايكل هاليداي ورقية حسن ولهما الفضلُ الكبير في تقسيم آلياته، ففي آرائهما يتشكل الاتّساق من مجموعة من الآليات النصّية، والمعجمية، والوصلية التي تشكّل مكوّنات فعّالة في تحقيق الجانب الاتّساقي في أيّ نصّ. وهذه الدراسة وفقاً للمنهج الوصفي- التحليلي ومؤكدة على مخطّط هاليداي وحسن، تقوم على رصد آليات الاتساق في قصيدة «سلي الرماح العوالي» للشاعر صفي الدين الحلي (١٢٧٨-١٣٤٩م) وهي من قصائده الشهيرة التي لا تزال تتداول حتى العصر الحديث وتداولها عشّاق ديوان العرب بالتحليل والتعميق. دراسة الاتّساق بالغة الأهمية في نصّ هذه القصيدة لضمان حبكها وتماسكها بحيث تبيّن هل نصّ القصيدة أصبح نصّاً يتمتع بإطار متماسك وترتبط أجزاؤها بشكل متواصل؟ تهدف الدراسة إلى معرفة مدى اتّساق القصيدة، والوقوف على أبرز آليات الاتساق التي أكثر صفي الدين الحلي من استخدامها. أظهرت النتائج أنّ القصيدة تتمتّع بإطار متناسق وتترابط أجزاؤها بشكل متماسك، فما احتواه النصّ من وفرة أداة الاتساق النصّي هو ٥١%، وهذه النسبة ترجع إلى أنّ أساس الترابط بين أبنية نصّ القصيدة هو التشابك بين التراكيب اللغوية في خطّية نص القصيدة. فيكشف البناء النصّي للقصيدة عن تنوع آليات الاتساق بين الإحالة (٣٠%) والتكرار (٣٠%). تبيّن هذه الإحصائيات أنّ القصيدة قد ارتبطت بنيتُها بعضها ببعض وشكّلت كلّاً متكاملاً، فكانت تدلّ على فكرة العصبية القبلية والمنافرات الشخصية وانتصار قوم الشاعر في الحروب والمعارك.

الكلمات الدليلية: صفي الدين الحلي، «سلي الرماح العوالي»، الاتّساق النصّي، الاتّساق المعجمي.

تاريخ الوصول: ١٤٠١/١٢/١٥ تاريخ المراجعة: ١٤٠٢/٢/٧ تاريخ القبول: ١٤٠٢/٣/٢٨

[١]- تم الدعم المالي لهذا البحث من قبل جامعة زابل بمنحة رقم ٦١٠٧.

اين پژوهش با حمايت مالى دانشگاه زابل با شماره گرنت ٦١٠٧ انجام شده‌است.

[٢]- الكاتب المسؤول: arabighalam@uoz.ac.ir

١. المقدمة

تعتبر اللغة أهم وسيلة للاتصال والاحتكاك بين أفراد المجتمع في جميع ميادين الحياة، وهي نسق من الإشارات والرموز وتشكّل أداة من أدوات المعرفة. إذا كانت اللغة وسيلة الاتصال وتحقيق الأغراض فهي أيضاً وسيلة للتفاعل الاجتماعي والترابط بين أفراد المجتمعات مهما اختلفت بيئاتهم، وبلدانهم، وأجناسهم. تدخل اللغة بوصفها عنصراً أساسياً في تكوين المجتمع من خلال بناء علاقة الأفراد فيما بينهم من جانب وبينهم وبين المجتمع من جانب آخر، ولذلك توصف بأنها إحدى المكوّنات الأساسية في عملية اكتساب السلوك الاجتماعي للأفراد، وعنصر مهم من عناصر الحضارة، وكونها الوسيلة الرئيسة لتعامل الأفراد. ومن جانب آخر، يُعد النصّ نسيجا من الكلمات والجمل يترابط بعضها ببعض فهو يدل في أبسط معانيه على التماسك بين الحروف، والألفاظ، والجمل، والفقرات، وهذا التعريف للنص يعمل على إيجاد نوع من الاتساق. فيعد الاتساق من المفاهيم الجديدة التي دخلت مجال النقد الأدبي ولسانيات النصّ، وذلك في إطار الكشف عن التلاحم القائم بين الجمل والفقرات والنصّ بكامله. يستند الاتساق إلى المبادئ التي اجترحها علم اللغة منذ أن بدأت المدارس اللغوية الجديدة بالظهور، وتبلورت على يد مايكل هاليداي ورقية حسن.

مما لا يخفى علينا أن جهود هاليداي ورقية حسن تعدّ من أشمل الجهود اللسانية التي أنتجها علماء اللغة في مجال الدراسات النصّية؛ حيث تدرس النصّ بوصفه وحدة لغوية ميزتُه الرئيسية الاتساق والانسجام. فليس النصّ مجرد تتابع مجموعة من الجمل؛ بل له آليات تربط بين الجمل وفقرات النصوص على مستويات متعددة. ومن منظور هاليداي ورقية حسن، فإن الفرق شاسع بين الاتساق وآلياته، والانسجام وآلياته بحيث يحيل الاتساق إلى الروابط الشكلية القائمة داخل النصّ، والتي تربط بين البنيات الصغرى التي يتشكل منها النصّ.

فالاتساق ذو طبيعة أفقية خطية تظهر على مستوى تتابع الكلمات والجمل، ويتحقق من خلال آليات خاصة للاتساق النصّي، والاتساق المعجمي، والاتساق الوصلي (خطابي، ١٩٩١: ١٦). أما الانسجام فهو أعمق من الاتساق وأوسع منه بحيث يتطلب من المتلقي صرف الاهتمام بالعلاقات الخفية التي تنظم النصّ وتولده. فهو ذو طبيعة عمودية إذ «يعتمد على فهم كل جملة مكونة للنص في علاقاتها بما يفهم من الجمل الأخرى... فهو ظاهرة تأويلية ديناميكية من الفهم المعرفي، تتدخل فيها أنواع عديدة من المعارف الذاتية» (فضل، ١٩٩٦: ٣٤٠). وتأسيسا على هذا التمايز، سيعتمد هذا البحث على مسألة الاتساق في النصوص الأدبية، وشرح آلياته وكيفية استخدام هذه الآليات كي يقع النصّ الأدبي تحت لواء جماليات النصوص.

تتناول هذه الدراسة معرفة الاتساق وآلياته في قصيدة «سلي الرماح العوالي» التي تمثّل واحدة من روائع الشاعر صفي الدين الحلي (١٢٧٧-١٣٣٩م)، وهي من أشعاره الشهيرة التي لا تزال تتداول حتى العصر الحديث. يرتبط موضوع القصيدة بخبر انكسارات جيوش الإيلخان المغولي المتكررة على يد القبائل العربية في بادية الأنبار والشام. فقاد حملة كبيرة من خيرة فرسانه، والتقى الجمعان، ووحّد القبائل صفوف قيادتهم بإمرة قبائل طيئ، فرأى الإيلخان المغولي من هيبة قبائل الأنبار والشام ما هابه، واضطره إلى الهروب، فجاءت قصيدة صفي الدين الحلي لتخلّد انتصارات القبائل العربية على الجيوش المغولية. تهدف الدراسة إلى معرفة مجموعة من جمل قصيدة «سلي الرماح العوالي» التي تشكل نصاً متناسقاً، من أجل إبراز مدى اتّساق النصوص الشعرية، والوقوف على أبرز آليات الاتساق التي أكثر صفي الدين الحلي من استخدامها في هذه القصيدة. وهذا هو الترابط النصّي لمكوّنات نصّ القصيدة مما يسهم في خلق نص أدبي وجمالي. اتبعت الدراسة المنهج الوصفي-التحليلي الذي قام على وصف آليات الاتساق بداية، إضافة إلى تطبيق هذه الآليات في نص القصيدة.

١ .١. أسئلة البحث

الأسئلة التي تسعى هذه الدراسة الإجابة عنها تتلخص فيما يلي:

– ما هي آليات الاتساق الأكثر شيوعاً في قصيدة «سلي الرماح العوالي» للشاعر صفي الدين الحلّي؟

– كيف تمكن صفي الدين الحلّي في توظيف آليات الاتساق في هذه القصيدة؟

١ .٢. فرضيات البحث

– يبدو أن الأداة الأكثر شيوعاً واستعمالاً في هذه القصيدة هي الإحالة والتكرار.

– إن صفي الدين الحلي قد وظّف آليات الاتساق في هذه القصيدة بحيث تنبع من طبيعة تركيبها اللغوي في خطّية نصّ القصيدة، كما يرتكز على العلاقات اللغوية التي تجسد المعنى كالإحالة، والتكرار، والتضام.

١ .٣. خلفية البحث

لم تحظ قصيدة «سلي الرماح العوالي» بدراسات واسعة في المجال النقدي بالرغم من حداثتها اللغوية وأهميتها الفائقة في بعض النصوص الشعرية الكلاسيكية. فأما في مجال الاتساق بصورة كلية فظهرت في السنين الأخيرة دراسات متنوعة عالجت النصوص الشعرية والنثرية؛ ومنها:

– رسالة الماجستير لصوالحية كريمة (٢٠١١) الموسومة بـ«التماسك النصّي في ديوان أغاني الحياة لأبي القاسم الشابي» حيث أشار البحث تفحص مظاهر الاتساق النصّي والكشف عن أهم الوسائل التي تحققه مستفيدا من جهود الباحثين اللغويين، ودراسة دور السياق في تحليل النصّ بوصفه عنصرا يشارك في إنتاجه، وفي إضفاء المعنى عليه والمساهمة في انسجامه.

– زايدي (٢٠١٢) في رسالة «الاتساق والانسجام في شعر رزاق محمود الحكيم» يعتقد أن الشاعر العراقي رزاق قد جمع في ديوان الأرق بين اتساق الوحدات الصغرى التي تمثل القصائد وانسجام معظم هذه الوحدات مما جعل البنية الكلية الشاملة للنص تبدو جلية وسيطرت الإحالات المقامية على قصائد الديوان.

– عبابنة والزعبي (٢٠١٣) في مقالة «عناصرالاتساق والانسجام النصّي: قراءة نصية تحليلية في قصيدة أغنية لشهر أيار لأحمد عبدالمعطي حجازي» يعتقدان أن آليات الاتساق والانسجام قد تضافرت في تشييد البنية الدلالية لهذه القصيدة، فما احتواه نص القصيدة من وفرة آلية الإحالة المقامية وارتباط سائر الإحالات بها والتقليل من آليات الربط والوصل مما أسهم في نقص الاتساق في النصّ.

– مصدّق (٢٠١٥) في رسالته المعنونة بـ«التماسك النصّي من خلال الإحالة والحذف: دراسة تطبيقية في سورة البقرة» يرى أن الاتساق المتحقق في الجانب النحوي الشكلي من خلال أداتي الإحالة والحذف يستدعي الاتساق الدلالي؛ لأن المباني لا تنفصم عن المعاني وسورة البقرة نموذج راق من نماذج القرآنية رغم تعدد موضوعاتها إلا أنها متناسقة الأجزاء ومتلاحمة الآليات، رائعة السبك بديعة النسج.

– موسى (٢٠١٥) في رسالة «الاتساق والانسجام ومظاهرهما في قصيدة بطاقة هوية لمحمود درويش» يحاول دراسة مظاهر الاتساق والانسجام في قصيدة للشاعر درويش وقد توصل إلى أن مظاهر الاتساق –الإحالة والضمائر والتكرار وغيرها– ساعد

على ربط القصيدة بمظاهر متنوعة وانسجمت القصيدة من طريق العلاقات الدلالية في الإجمال، والسبب، والنتيجة، والشرط والجواب حيث أسهمت على الربط بين أجزاء القصيدة.

– ماجدة (٢٠١٦) في رسالة «التماسك النصّي في قصة داوود وسليمان في القرآن الكريم: دراسة نحوية- تحليلية» تحدثت فيه عن مفهوم النصّ نحو النصّ والاتساق النصّي بأنواعه وأهميته وأثبتت الدراسة التطبيقية من خلال انتقاء ألفاظه وحسن ترتيبها في نسق معين، فقد أظهرت النصوص القرآنية المتضمنة للقصة تماسكاً دلالياً ونحوياً فريداً.

– ميلودة (٢٠١٧) في رسالة «الاتساق والانسجام ودورهما في التماسك النصّي: سورة بقرة أنموذجا» درس هذا الموضوع بغية الوصول إلى الدور الذي يؤديه كل من الاتساق والانسجام في النصّ القرآني توصلت إلى مجموعة من النتائج، حيث نجد أن الاتساق النصّي ساهم في تحقيق التماسك الشكلي للجزء الأول من سورة البقرة والإحالة النصّية هي من أكثر آليات الاتساق استعمالا في هذا الجزء.

غير أن هنالك لم توجد دراسة تهتم بمعالجة الاتساق في قصيدة «سلي الرماح العوالي» لصفي الدين الحلي، فلذلك تحاول هذه الدراسة بعنوان الاتساق وآلياته في هذه القصيدة أن تكون محاولة جديدة لفتح الآفاق أمام الباحثين.

٢. المهاد النظري للبحث

٢ .١. الاتساق من منظور هاليداي ورقية حسن

تؤكد لسانيات النصّ على التماسك بين أجزاء النصّ، وعلاقاته الداخلية، وهذا ما حثّ بهاليداي ورقية حسن إلى توجيه الباحثين إلى آلية الاتساق، وهي من الآليات المهمة التي تسهم في دراسة بنيات النصّ، ورصد مواطن التحقق والاختلال فيه بأبعاده المختلفة، منطلقة بذلك مفهوم النصّ، والتعالق المختلف بين أجزائه التي تشكل كلاً موحداً يحكم عليها بالنصّية أو بعدمها. ووفقاً لمنظور هاليداي وحسن، يتشكل الاتساق من مجموعة من الآليات النصّية، والمعجمية، والوصلية التي تشكل مكونات فعالة في تحقيق الجانب الاتساقي في أي معطى لغوي باعتبار أن مفهوم الاتساق مفهوم يحيل إلى الروابط الشكلية القائمة داخل النصّ والتي تحدده نصاً (Halliday & Hassan, 1976: 4). يعدّ الباحث النصّ متسقاً إذا تحققت له مجموعة من آليات تشدّد من تلاصقه مثل الاتساق النصي (الإحالة، والاستبدال، والحذف)، والاتساق المعجمي (التكرار، والتضام)، والاتساق الوصلي (الإضافي، والسببي، والزمني). وهي آليات عدّها هاليداي ورقية حسن من الأدوات المساهمة في اتساقية النصّ وتلاصقه، بحيث إن خلوّ النصّ من آليات الاتساق لا يعني بحال من الأحوال عدم نصيته، وإنما احتياجه إلى روابط تشدّد من تحقق الاتساقية فيه (پيراني شال وآخرون، ١٣٩٧: ٩٨).

ويذهب هاليداي وحسن إلى أن الاتساق يبرز في المواضع التي يتعلق فيها تأويل عنصر من العناصر بتأويل العنصر الآخر، يفترض كل منهما الآخر مسبقا، إذ لا يمكن أن يحلّ الثاني إلا بالرجوع إلى الأول؛ إضافة إلى تحقق النصّية في مستويات أخرى (Halliday & Hassan, 1976: 4). ولعلّ دراسة الروابط الداخلية التركيبية لقصيدة «سلي الرماح العوالي» لصفي الدين الحلي تعطي مؤشرا على مدى اتساقية نص القصيدة، وتمثل بنية النصّ الداخلية. وهذا ما سنقوم بدراسته في هذا القسم وإجراء بحث علمي مكثف عنه.

يرى هاليداي وحسن أن مفهوم الاتساق يقصد به ذلك الاتساق الشديد بين أجزاء المشكلة لنص ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية التي تصل بين العناصر المكوّنة لجزء من الخطاب أو خطاب برمته (خطابي، ١٩٩١: ٥)؛ فتربط بين عناصر الجمل المتتالية علاقاتٌ معينة تتنوع بين قبلية وبعدية. ولكي تتوفر هذه العملية ينبغي توفر مجموعة من الآليات اللغوية تسهم في

اتساق النصّ محققة في ذلك وحدة متماسكة، فتصبح الاتساق أداة إجرائية هامة في التفريق والتمييز بين النصّ واللانص. ويظهر ذلك في الشكل التالي (المصدر نفسه: ١٢):

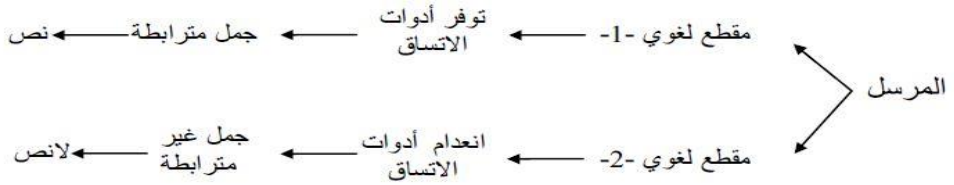

يلخص هذا الشكل المنظورَ العام الذي دافع عنه هاليداي وحسن طوال بحوثهما، والذي يوضح أنّ النصّ يعتبر نصاً إذا كانت بين الجمل علاقات وروابط تسمّى آليات الاتساق، وإذا كانت الجمل خالية عن هذه الآليات فتسمّى اللانص. ومن هذا المنظور، ينقسم هاليداي وحسن هذه الآليات إلى الاتساق النصّي، والاتساق المعجمي، والاتساق الوصلي.

٢ .٢. آليات الاتساق في قصيدة «سلي الرماح العوالي»

٢ .٢ .١. الاتساق النصّي

للاتساق النصّي أهمية قصوى في إبراز النصّية من عدمها، كونه مقوماً من مقوماتها الأساسية، وهو من الكلمات المفتاحية التي ارتكزت عليها الدراسة اللسانية النصّية وذلك نظرا لعلاقته المباشرة بالنصّ (ميرأحمدي وآقاجاني، ١٣٩٦: ٢٣٩). فهو يمثل آليات الإحالة، والحذف، والاستبدال.

٢ .٢ .١ .١. الإحالة

تعد الإحالة من الآليات التي تحقق الاتساق النصّي وتسهم في خلق الكفاءة النصّية؛ إذ تقوم بعملية سبك العبارات لفظياً دون إهمال للترابط الكامن وراءها، وتقدر على صنع قنوات وجسور تربط وحدات النصّ المتباعدة المتمثلة في الكلمات والجمل والعبارات (نائل، ٢٠١١: ١٠٦١). تنقسم الإحالة إلى نوعين رئيسين: ١.الإحالة المقامية: تعني علاقات النصّ بالسياق الخارجي ويقصد بها إحالة عنصر لغوي إحالي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي تدلّ عليها ضمائر المتكلم والخطاب (حسان، ٢٠٠٧: ٣٦٦). ٢.الإحالة النصّية: فهي تعني علاقات داخل النصّ سواء كان بالإحالة إلى ما سبق (الإحالة القبلية) أم بالإشارة إلى ما سوف يأتي ويلحق داخل النصّ (الإحالة البعدية)، وتتطلب من المستمع أو القارئ أن ينظر داخل النصّ للبحث عن الشيء المحال إليه (يول وبراون، ١٩٩٨: ٢٣٩).

ومن أمثلة هذه الإحالات في قصيدة «سلي الرماح العوالي» ما ورد في قول الشاعر:

سلي الرماح العوالي عن معالينا واستشهدي البيض هل خاب الرجا فينا
وسائلي العُرب والأتراك ما فعلت في أرض قبر عبيد الله أيدينا
لما سعينا، فما رقتْ عزائمنا عما نروم، ولا خابتْ مساعينا
وفتية إن نقل أصغوا مسامعهم لقولنا، أو دعوناهم أجابونا

يفاخر الحلّي أمام حبيبته (ضمير أنتِ المستترة في «سَلِي» و«سائِلي») بأمجاد قومه وبطولاتهم، ويطلب منها إذا ما أرادت أن تعرف المزيد من الأخبار فلتسأل الرماح العوالي فهي سوف تخبرها عن طول قامة الشاعر وقبيلته في ساحات القتال. افتتحت القصيدة بإحالة مقامية يمثِّلها الضمير «نا؛ نحن» وهو ضمير الشاعر وقومه الذين ارتضوا أن يتكلم الشاعر باسمهم. ومن الممكن أن تتضخم الذات هنا، ليكون هذا الضمير هو ضمير المتكلم المفرد على طريق تعظيم النفس، وهو أمر نستبعده

بالنظر إلى الدلالات الكلية للنص. ومع هذا فيمكن طرح التساؤل الآتي: من نحن؟ هل يعني بـ"نحن" العرب؟ أم إنه يعنى قومه الذي يتغنّى الشاعر بأيامهم؟ أم هي الذات الشاعرة نفسها. ومن المعروف أن الضمير «نحن» في اللغة يمكن أن يمثّل حالة من حالات الإبهام.. فإذا أراد المتكلم أن يلوم نفسه فغالباً ما تتجه الإحالة إلى هذا المعنى من خلال «نحن» وكذلك إذا أراد أن يفخر أو أن يمدح النفس عن طريق «نحن» المعبّر عن الأنا المعظّم لنفسها، أو الأنا الكلية العامة، إذ يفتقر هذا الضمير إلى الدلالة على النوع، فيمكن أن يكون المتكلم كذلك جماعة من الذكور، أو جماعة من الإناث، أو أن يكون خليطاً من هذا كذلك (عبابنة والزعبي، ٢٠١٣: ٥١٣). وبالنظرة الفاحصة إلى الأبيات فيبدو لنا أن ما تتبع هذه الإحالة إحالات أخرى تحيل إلى الدلالة نفسها، كما في كلمات «لما سعينا»، «فما رقتْ عزائمنا عما نروم»، «ولا خابتْ مساعينا». وفي كلمات «سلي» و«استشهدي» يؤكد الشاعر على ضمير المخاطبة «أنتِ» في خطاب المحمول المقصود بالدلالة، وهو الحبيبة المفترضة، وهذه الإحالة هنا هي إحالة مقامية توظِّف آلية العدول أو الالتفات، فالضمير «أنتِ» المخاطبة يعود إلى الحبيبة المفترضة، ولكن الشاعر يعود إلى الإحالة المقامية ممثّلة بعودته إلى ضمير المتكلم مع الغير في «معالينا، فينا، سعينا، عزائمنا، مساعينا، نروم، نقل، قولنا، دعونا، أجابونا» مع ربطها بالجمل قبلها وبعدها. إن صفي الدين أكثر الاعتماد على الضمير الجمعي «نا» وذلك على هيئة الإضافة، لإيصال رسالة صارمة إلى العدو ينبّؤه بأنه مهما يتجاوز فإن قومه الشجعان يتحلّى بمبادئ أصيلة وهي أنهم على حق لابدّ أن ينتصروا في يوم لا ترقّ عزائمهم فيها ولا تخيب مساعيهم. ويمكن القول إن الضمير «نحن» وما يتحول إليه من الضمير المتصل «نا» ضمير عام، فإذا ما توالت الإحالات في الأسماء «معالينا، عزائمنا، مساعينا، قولنا»، والأفعال «سعينا، نروم، نقل، دعونا، أجابونا»، فإن الأمر عندها سيصطبغ بالصبغة العمومية؛ لأنها عائدة برمّتها على المقام «نحن».

نجد الإحالة في ضميري «واو» و«هم» بحيث يرجعان إلى قوم الشاعر، وهي إحالة نصية قبلية إلى سابق عملت على ربط الآليات الإشارية ليتم معنى الشعر:

قوم إذا استخصموا كانوا فراعنة يوما، وإن حكموا كانوا موازينا
تدرعوا العقل جلبابا، فإن حميت نار الوغى خلتهم فيها مجانينا
إذا ادعوا جاءت الدنيا مصدقة وإن دعوا قالت الأيام: آمينا
وفتية إن نقل أصغوا مسامعهم لقولنا، أو دعوناهم أجابونا

فضميرا «واو» و«هم» المتصلان يعودان على قوم الشاعر دلالة على إثبات المعالي عند قوم الشاعر، وتعدّان من أهم الآليات لتحقيق الاتساق لفخرية الشاعر، لكونها تنظم تتابع التراكيب بعضها ببعض؛ وبها تجعل من تراكيب الأبيات أن تكون مرتبطة بعضها ببعض لتكون جزءا من خطاب «سلي الرماح العوالي». فإن الإحالات الضميرية إلى المتكلم مع الغير (نحنُ؛ نا) وإلى الغائب (واو؛ هم) هيمنت على غيرها، ولا شك أن الاتساق الذي هو الميزة الأسلوبية لنص القصيدة عمل على هذا الزخم الإحالي للمتكلم والغائب؛ لأن القصيدة تصبّ في غرض الفخر الذي يجعل من قوم الشاعر أشخاصا متعالية. ينسّق الحلّي في هذه الأبيات تعبيراً وتصويراً فالمتلقّي إزاء وحدة فنية تعود الضمائر إلى مراجعه الأصلية لأن بناء القصيدة يتطلب ذلك. يقول الشاعر في هذه الأبيات أن قومه سيرد على الأعداء بغيرته الدينية واثقاً بأنه سيرد الهجمة على الأعداء، وسيحقق الأمنيات التي طال انتظارها وبذلك يستشرف النصر دون مبالغة. وفي مقام آخر، فقد استخدم الشاعر اسم «مَن» الموصولة وهو من آليات الاتساق في القصيدة، حيث أسهمها في اتساق وترابط القصيدة:

بضمر ما ربطناها مسومة إلا لنغزو بها مَن بات يغزونا

إن كلمة «مَن» الموصولة إحالة نصية قبلية إلى السابق ترجع إلى الأعادي وتربط بين الأسطر الشعرية، فهي تشكل من وسائل اتساق هذه القصيدة. فعلاقة الصلة بالموصول في هذا البيت علاقة ترابطية هامة، وهذه الحاجة إلى الربط إنما تدل على أنها تحدث الاتساق في التركيب الذي بين أيدينا. إن أكثر أسماء الإشارة توظيفاً كاليوم، والطول، والزمان وغيرها يصنف ضمن ظروف الزمان، فوجودها في موقع القصيدة يجعلنا نحس ذلك الترابط بين العناصر اللغوية المكونة للأبيات التالية. فوجود هذه الأسماء يعطي صفة الاتساق للقصيدة:

يا يوم وقعة زوراء العراق، وقد دنا الأعادي كما كانوا يدينونا
ذلوا بأسيافنا طول الزمان، فمذ تحكموا أظهروا أحقادهم فينا
لا يظهر العجز منا دون نيل منى ولو رأينا المنايا في أمانينا

إن استعمال الشاعر لأسماء الإشارة الزمانية قد رسم صورة للأعادي كي يسلط لهم، وقد ساعد على الربط بين أجزاء البنية الصغرى، والإحالة النصّية القبلية إلى السابق يرجع إلى قوم الشاعر. أما الإحالة المقارنة، فإذا تتبعنا هذه العلاقة في هذه القصيدة وجدناها قليلة، منها ما جاء في قول الشاعر:

عزائم كالنجوم الشهب ثاقبة مازال يحرق منهن الشياطينا

فالشاعر يستحضر مقارنة المشابهة من خلال حرف الكاف الذي ربط بين «عزائمنا» و«النجوم» ويصرح أن عزائمنا يهدم العدو كما يحرق النجوم الثاقبة الشياطين في السماء. إن معظم علاقات المقارنة كانت عن طرق التشابه أو المماثلة، لهذا فهي تؤدي دوراً مهماً في اتساق النصّ وترابطه.

٢. ٢. ١. ٢. الاستبدال

الاستبدال هو وسيلة من وسائل الاتساق النصّي، ويتمثل في تعويض عنصر لغوي بعنصر آخر. يختلف الاستبدال مع الإحالة في كون هذه الأخيرة تقع على المستوي الدلالي، كما أن الاستبدال يكون في أغلب حالاته قبليا أي تكون علاقته بين عنصر متأخر وعنصر متقدم (الصبيحي، ٢٠٠٨: ٩١).

ينقسم الاستبدال في قصيدة «سلي الرماح العوالي» إلى ثلاثة أنواع: الاستبدال الاسمي، والفعلي، والقولي. أما الاستبدال الاسمي، فهو مجموعة المقولات الاسمية التي يمكن أن تحل محل الاسم مؤدية وظيفته التركيبية، ويتم باستخدامه آليات لغوية اسمية مثل: آخر، آخرون، نفس (أبوزنيد، ٢٠١٠: ١٢٣) أو بكلمات بديلة عن كلمات أخرى. وفي قول شاعر:

سلي الرماح العوالي عن معالينا واستشهدي البيض هل خاب الرجا فينا
ذلوا بأسيافنا طول الزمان، فمذ تحكموا أظهروا أحقادهم فينا
ثم انثنينا، وقد ظلت صوارمنا تميس عجبا، ويهتز القنا لينا

فقد حصل الاستبدال الاسمي في لفظ «البيض» الذي استبدله في البيت الثاني بلفظ «أسياف» وفي البيت الثالث بلفظ «صوارم». فإن «الأسياف» جمع «السيف» وهو سلاح من الفولاذ أو نحوه ذو نصل طويل حادّ يضرب به باليد ويقال: ضربه بالسيف فقطع رأسه. أما «الصوارم» ومفرده «الصارمة» اسم فاعل من «صرَمَ وصرُمَ» بمعنى متشدِّد، قويّ ماضٍ في أمرِه، ويطلق على السيف ويقال: سيف صارم أي قاطع. و«البيض» جمع لـ«البيضاء» وهو صفة للسيوف المحذوفة ويطلق على سيوف متلألأة. وهذا النوع من الاستبدال نطلق عليه الاستبدال الاسمي، فهما يدلان على الشيء نفسه وهو سبب بقاء النوع، بلفظين مختلفين لذا يتتحقق الربط بين السابق واللاحق ومن ثم يتحقق الاتساق بين أجزاء النصّ.

أما الاستبدال الفعلي فهو مجموعة المقولات الفعلية التي يمكن أن تحل محل الفعل مؤدية وظيفته التركيبية، ويمثله استخدام فعل «يفعل» مثل قولنا: هل تظن كذا؟ نعني «أفعل»، وهو الذي يعبر عنه بالفعل البديل «فعل»، حيث يأتي إضماراً لفعل أو لحدث معين أو عبارة فعلية ليحافظ على استمرارية محتوى العبارة الفعلية الأكثر تحديداً، يمثله استخدام صيغة الفعل «فعل، عمل، يفعل» ويجوز استبدال الفعلين المترادفين (شبل محمد، ٢٠٠٧: ١١٤). ومن قول الشاعر حيث تأتي أفعال «سعى» و«غزا» و«صال» و«جرى» استبدالا من فعل «هاجم»، وهذا يدل على أن الأفعال التي استعملها الشاعر قد تترادف على المسمّى الواحد. فكثرة وجود الأفعال المستبدلة في القصيدة، وامتلاؤها بهذا النوع من المفردات، لابد أن تقف وراء وقوعه عدة عوامل أسهمت في إثراء المعجم اللغوي لصفي الدين الحلي بهذا الكم الهائل من الاستبدالات الفعلية:

لما سعينا، فما رقت عزائمنا عما نروم، ولا خابت مساعينا
بضمر ما ربطناها مسومة إلا لنغزو بها من بات يغزونا
ما أعوزتنا فرامين نصول بها إلا جعلنا مواضينا فرامينا
إذا جرينا إلى سبق العلى طلقا إن لم نكن سبقا كنا مصلينا

أما الاستبدال القولي فهو استبدال بكاملها إذ تقع أولاً جملة الاستبدال، ثم تقع الكلمة المستبدلة خارج حدود الجملة، باستخدام آليات «ذلك» و«لا» و«نعم»، و«بلى» وأسماء الأفعال وغيرها (شبل محمد، ٢٠٠٧: ١١٥). ويكون الاستبدال في النصّ بديلا هاما يسهم في اتساق النصّ ووحدته «ولكن ينبغي أن يكون الاستبدال بين وحدة لغوية بشكل آخر يشترك معها في الدلالة (بخولة، ٢٠١٤: ١٩). فمن الاستبدال القولي كلمة «آمين» التي تستبدل مكان جملة «استجب هذا الطلب». فهي من أسماء الأفعال المرتجلة التي وضعت في أول أمرها أسماء أفعال للتعبير عن معاني الأفعال:

إذا ادعوا جاءت الدنيا مصدقة وإن دعوا قالت الأيام: آمينا

استبدل الشاعر في بيت آخر بحرف «لا» مكان جملة ذات معنى. والاستبدال على النحو الأساسي بحرف «لا» علاقة نصية حيث يتم الربط بين المقطعين الأول والثاني وقد حقق الحلّي نوعاً من الاتساق النصّي والاستبدال القولي ليسهم في تحقيق الترابط والتواصل النصّي. فهذه الآلية تؤدي إلى الإيجاز وبالتالي تسهيل المعنى وتقريبها للقارئ، وتسهم في تحقيق الترابط والتواصل النصّي للقصيدة، كما نراها في البيت التالي:

أعطى، فلا جوده قد كان عن غلط منه، ولا أجره قد كان ممنونا

٢. ٢. ١. ٣. الحذف

يعد الحذف من العوامل التي تحقق الاتساق النصّي، وتشترك فيه جميع اللغات ولكنه أكثر بروزاً في اللغة العربية نظراً لما تتميز به هذه اللغة من ميل إلى الإيجاز والاختصار، حيث يعمد المتكلمون إلى حذف وإسقاط بعض العناصر المتكررة في الكلام (حمودة، ١٩٩٨: ٩). يحدد هاليداي بأن الحذف علاقة داخل النصّ وفي معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض في النصّ السابق وهذا يعني أن الحذف علاقة قبلية يمكن حذف ما لا يعتبر فرضا تترتب عليه نتائج في بقية النصّ (خطابي، ١٩٩١: ١٩).

تتعدد أنواع الحذف في قصيدة «سلي الرماح العوالي» بحيث يحذف الشاعر في البيت التالي المطلوبَ الذي يسأله عن يوم وقعة زوراء العراق. فيستطرد في تعداد المناقب الجمّة واصفاً الفرسان في وقعة زوراء العراق ومعدداً خصالهم، فهم المستمعون

عند القول والمجيبون إذا ما دعتهم الحمى للدفاع عنها. فقد حذف الشاعر فعلَ «أستشهدك» للمنادى، وهو حذف داخل شبه الجملة فالحذف القولي وعلي رغم أنه كان قليلاً إلا أنه ساعد على تحقيق الاتساق وتفادي التكرار الذي قد يكون معيبا للنص:

يا يوم وقعة زوراء العراق، وقد دنا الأعادي كما كانوا يدينونا

حذف الشاعر في مقام آخر اسم متلقّيه الذي يخاطبه «أنت» في الشطر الأول من القصيدة «سلي» و«استشهدي» و«سائلي»، وهو حذف يقود إلى الاتساق، ويخلص النصّ أن التكرار يتفق مع القواعد اللغوية التي تشكل نحو الجملة بالدرجة الأولى:

سلي الرماح العوالي عن معالينا واستشهدي البيض هل خاب الرجا فينا

وسائلي العرب والأتراك ما فعلت في أرض قبر عبيد الله أيدينا

فقد حذف الشاعر الفعل «سائلي» استغناء بحرف الربط «الواو العاطفة» وأصل النصّ «وسائلي العرب وسائلي الأتراك» وهو حذف جوازي كما حذف الفعل لأنه معلوم، يحقق كثيراً من الانسجام النصّي، فهذا هو الحذف الفعلي. فإن الوظيفة التي أداها الحذف في هذه الأبيات قد تخدم جانب الاتساق، لأنه يبحث في العلاقة بين الجمل أين تؤدي اللفظة دورها على أكمل وجه، كما أنه يفرض على القارئ الدخول في النصّ وبالتالي المشاركة في خلقه. ومثال حذف داخل شبه جملة:

يا يوم وقعة زوراء العراق، وقد دنا الأعادي كما كانوا يدينونا

٢. ٢. ٢. الاتساق المعجمي

يساعد الاتساق المعجمي على انسياب المعاني وتدفقها، ويسهل تحديد السياق الذي ترد فيه الكلمات ذات المعنى المتصل وذلك للمساعدة على دفع الغموض وانحصار معاني الكلمات المتعددة المعنى. تقوم هذه الظاهر من خلال المعجم وتتحقق بواسطة اختيار المفردات عبر ظاهرتين لغويتين هما التكرار والتضام.

٢. ٢. ٢. ١. التكرار

يكون التكرار بإعادة العنصر المعجمي نفسه أو مرادفه أو شبه مرادفه، كما يكون عنصرا مطلقا أو اسما عاما ويقصد به «مجموعة من الأسماء لها إحالة معمّمة كاسم الإنسان واسم المكان وما يشبههما مثل: الناس، الشخص، الرجل، الطفل، المرأة، الولد، البنت» (زايدي، ٢٠١٢: ٢٧٩). فرق العلماء بين نوعين من التكرار: التكرار المباشر ويقصد به تكرار العناصر اللغوية بألفاظها وتكرار غير المباشر ويقصد به التكرار الجزئي وهو تكرار بالمعنى دون ذكر لفظ. تشترط الكثرة في التكرار حتى يساعد على فك شفرات النصّ وإدراك كيفية أدائه لدلالته، وبالتالي يكون أحد وسائل الاتساق (صبحي، ٢٠٠٠: ٢١). يعدّ التكرار من أهم آليات الاتساق في قصيدة «سلي الرماح العوالي» التي يعني بها الشاعر ويقصد إليها لتقوية قوة المنطوق الإنجازية، ويتطلب إعادة عنصر معجمي أو وجود مرادف أو شبه مرادف:

نغشى الخطوب بأيدينا، فندفعها وإن دهتنا دفعناها بأيدينا

والشاعر قد كرّر كلمة «أيدينا» مرّتين ويعبّر أن الشجاعة والمجد والمعالي ينمو إلى قومه، فيبتعد الكلام عن الافتقار إلى ما يكمله ولو قال: «وإن دهتنا دفعناها» فأضمرت لكان البيت ناقصاً مفتقراً وإنما أظهرت لفظ «أيدينا» مرة أخرى تباعداً عن الافتقار. هذا النوع من التكرار يعني باستخدام المكونات الأساسية للكلمة أي الجذر الصرفي مع المشتقات أحد أنواع التكرار التي يتحقق من خلالها اتساق النصّ. فإنّ عاطفة الشاعر من خلال تكرار هذه الكلمات تبدو صادقة مع أن هذه الأبيات قد تميّزت بنيتها بالقصر لبيان مفاخرته به ومباهاته بقومه. ومن أمثلة أخرى للتكرار نشير إلى عدد من الأبيات:

مُلك، إذا فوقت نبل العدو لنا رمت عزائمه من بات يرمينا
أخلوا المساجد من أشياخنا وبغوا حتى حملنا، فأخلينا الدواوينا
ما أعوزتنا فرامين نصول بها إلا جعلنا مواضينا فرامينا
نغشى الخطوب بأيدينا، فندفعها وإن دهتنا دفعناها بأيدينا
تدافع القدر المحتوم همتنا عنا، ونخصم صرف الدهر لو شينا
ما أعوزتنا فرامين نصول بها إلا جعلنا مواضينا فرامينا

يقدّم التكرار في هذه الأمثلة فائدة في بنية القصيدة، ويكون عاملاً مهمّاً لتذكير المتلقّي بما سبق عن مغارات العدو والبطولة الجماعية والحماس مع القتال، فيقوم بإنعاش ذاكرة المتلقّي لاستعادة مذكور سابق. أما عن التكرار الموسيقايي في قصيدة «سلي الرماح العوالي»، فإن الجامع بين الوزن والإيقاع هو التناسب الصوتي بالمفهوم الموسيقي الإيقاعي والارتباط بطبيعة أنساق البُنى الإيقاعية والعروضية. ومن أمثال هذا التكرار يمكن أن نشير إلى كثرة تكرار ضمير «نا» في الأبيات التالية، بحيث أصبحت القصيدة جماعيّاً وقومياً لا يلتفت للمفاخر الشخصية، وقومياً لا مكان للعصبية القبلية فيه، ودينياً خالصاً يؤجج مشاعر المسلمين ويدعوهم لنصرة دينهم وإنقاذ المساجد عن أيدي عدوهم، لأن العدو أخلى المساجد عن الأشياخ. إن السرّ في توظيف «نا» كثيمة متكررة متكونة من حرفين «ن+ا» عند الحلّي يرجع إلى أنه يريد أن يعلن لأعداء قومه أنهم مغلوبون أمام هجمات قومه، لأن هناك الكثير منهم وسرعان ما سينتصرون في كل معركة وسوف يدمرون العدو، لذلك لا يستطيع أعداؤهم إيذائهم. قدم الحلّي في هذه القصيدة صورة كاملة لقومه، ورصد مختلف أحواله وتحولاته، في صورة تكرس نزوع «نحن» إلى التسامي والتعالي من خلال تضخيم الشاعر لقومه وإسبال صفات العظمة عليه. إذن يمكن القول إن الطبيعة التكرارية في هذه القصيدة تحكم النظام الإيقاعي بكافة أنساقه. ومن ثم فإن التكرار الذي يحكم التردد التكراري للأجزاء العروضية، هو في الإجمال تمثيل لخاصية ترددية منتظمة متسقة بين التوافق والتناسب. ومن هذه الأمثلة تكرار لمصوّت (-ً) في البيت التالي:

كم من عدو لنا أمسى بسطوته يبدي الخضوع لنا ختلاً وتسكيناً

تكرّر مصوّت (-ً) في كلمتي «ختلاً وتسكيناً» وذلك لدلالة موسيقية وإيجاد نوع من الانسجام الإيقاعي الذي قد لعب دوراً فريداً في تأثر المخاطب. وذلك يرجع إلى أن تكرار الصوت يرجع إلى اختيار صفي الدين الحلي الأسلوبَ الذي يوافق موقفه عن قضية انتصارات القبائل العربية على الجيوش المغولية وينسجم معه. وقد مثّل هذا الإيقاع الوظيفة التي تقوم بها على مستوى الموسيقى والبناء في هذه القصيدة، بحيث يطالعنا بغزارة لارتباط بواعثها بالحروب والمعارك وبالعصبية القبلية والمنافرات الشخصية التي يصوّرها صفي الدين الحلّي. وبذلك أصبح هذا التكرار وسيلة إلى إثراء المواقف وشحذ الشعور إلى حد الامتلاء. فقد ترك الشاعر فضاء القصيدة مفتوحاً للأمير الذي سيكفي هذه الأمة شرور الأعداء، فهو رمز البطل الإسلامي. وبعد أن تفصح القصيدة عن سطوة هذا العدو المتحايل وخيبته أمام الأمير، تتحدث عن دور القائد وإكباره له في إيجاز موحٍ يجعل القارئ يتحرك في القصيدة وهي تصعد، فيوازن بذلك الصعود شدة الانحدار المفضي إلى النهاية، فالشاعر غير مأخوذٍ بالجزئيات بعد أن تركه للأمير، وهو بذلك يركز على عنصري الصعود والهبوط، ولا ينهي قصيدته بإعلان فرحته للنتيجة السارة، لأن تلك الفرحة استعلنت في فاتحة القصيدة. ومن أمثلة أخرى لهذا النوع من التكرار حين يكرر الشاعر مصوّت (-ٌ) في كلمات «بيضٌ، سودٌ، خضرٌ حمرٌ» واصفاً قومه بأنهم أصحاب الأيادي البيضاء في الصنائع والسوداء في الوقائع، وأن مرابعهم الخضراء الخصبة تحميها سيوف ماضية حمراء ارتوت من دماء الخصوم. يخلق هذا التكرار إيقاعاً منتظماً زاد من انتظامه تكرار القوافي في هذا البيت:

بيضٌ صنائعنا، سودٌ وقائعنا خضرٌ مرابعنا، حمرٌ مواضينا

٢. ٢. ٢. ٢. التضام

يعد التضام من الآليات التي تؤدي إلى اتساق النصّ ويقصد به توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظراً لارتباطهما بحكم علاقات خاصة، فذكر أحد العناصر يستدعي بالضرورة ذكر العنصر الآخر (زايدي، ٢٠١٢: ٢٨٤). وحسب ما ذهب إليه هاليداي ورقية حسن، فإن العلاقة النسقية التي تحكم هذه الأزواج في خطاب ما هي علاقة تعارض أو تباين أو علاقة تربط الجزء بالكل أو تربط بين الجزء والجزء وغيرهما من العلاقات. أما التضاد فهو من أنواع التضام الذي يقصد به الجمع بين الشيء وضده كالجمع في الأسماء بين ليل ونهار، وفي الأفعال بين يتكلم ويسكت وغيرها وهو ما أطلق عليه علماء البلاغة مصطلح الطباق أو المطابقة وتتفرع عنه ما يعرف بالمقابلة. وهذه العلاقة هي التي تحقق الاتساق المعجمي وقد قام الجمع بين ضدين بسبك مفردات وربط أوصالها معجمياً ودلالياً. ومن أمثال التضاد في قصيدة «سلي الرماح العوالي» يمكن أن نشير إلى الأبيات التالية:

بيض صنائعنا، سود وقائعنا خضر مرابعنا، حمر مواضينا
سلي الرماح العوالي عن معالينا واستشهدي البيض هل خاب الرجا فينا
تدرعوا العقل جلبابا، فإن حميت نار الوغى خلتهم فيها مجانينا
إنا لقوم أبت أخلاقنا شرفا أن نبتدي بالأذى من ليس يوذينا

يصنع الشاعر في هذه الأبيات جواً من الصراع في ثنائية دلالية يفضي حضور أحدهما إلى إبعاد الطرف الثاني. والحلّي أثناء استخدامه للثنائيات الدلالية يحدث تشنّجاً انطلق من التصادم بين اتجاهين مختلفين، فهو يفتخر بصفات العرب: إن الصنائع البيض هي الأعمال الخيّرة والصفات الحميدة التي يتميز بها العرب خاصة أهل البادية، والوقائع السود هي المعارك الشرسة والمرابع الخضر هي الأراضي الخضراء التي يقدّسها العرب بسبب وقوع أغلب أراضي العرب في أماكن قاسية، أما المواضي الحمر فهي السيوف الماضية القاطعة المخضّبة بدماء الأعداء. أكّدت تلك الثنائية ثبات جانب ونفي آخر في نصّ القصيدة عن طريق الدلالات المتناقضة؛ لأن الضد يظهر المعنى بصورة أوضح فينمو ويترعرع ويتصاعد ليحصد الاتساق النصي من ذلك التضاد اللغوي. فهذا النوع من التضام أسهم في إظهار الدلالات المقصودة التي تجلّت بصورة أسرع لفهم النص ويعد هذا الأمر وسيلة من وسائل ربط المتلقّي بعالم النص وجذبه إليه.

ومن أمثلة للتضام يمكن أن نشير إلى البيت التالي، فجاء التضام بين كلمات «الدماء، الأثواب، العلق، النشر، العبير، المسك» ليتحقق الاتساق المعجمي والدلالي بين الأسطر الشعرية. ويقصد بالكلمة الشاملة أن إحدى الكلمات تشير إلى فئة والكلمة الأخرى تشير إلى عنصر في هذه الفئة، فهي إحدى الطرق الأخرى للربط بين الكلمات في النصّ، وهي الجمع بين مفردة وما يناسبها دلالياً، ليحقق الاتساق المعجمي:

وللدماء على أثوابنا علق بنشره عن عبير المسك يغنينا

فاختيار المفردات «الأثواب، العبير، النشر، المسك» ذو مكانة مهمّة في بناء هذا البيت، وهي التي تحقق فيه القابلية لإفهام ما يفتخر به الشاعر ويباهي بشجاعة قومِه، وتقوّى في البيت هذه القابلية بقدر ما تسمو فيه الكلمة من مستوى التضام إلى مستوى الفخر وهي من مقوّمات التعبير والتفكير في القصيدة. فيعتقد الشاعر بأن روح الإصرار والبطولة ظلت تمور في قلوب المسلمين ليدافعوا برماحهم ويمعن في تصوير هذه البطولة حيث صارت الرماح لينة بأيدي الأبطال والدماء كالمسك، فيدفع عن قومه أذى الآخرين ويذكرهم بما في الأجداد ووقائعهم.

٢ . ٢ . ٣. الاتساق الوصلي

يعد الوصل من الآليات التي تعمل على اتساق النصّ وترابطه، ويترابط به اللاحق من النصّ مع السابق بشكل منظم وطالما أن «النصّ هو عبارة عن متتالية جملية متعاقبة خطياً، إذن يتضمن آليات متنوعة تصل أجزاء النصّ السطحية بعضها ببعض كي تدرك كوحدة متماسكة» (خطابي، ١٩٩١: ٢٣). يؤكد الوصل على اتساق الخطاب بين الجمل أو عطف بعضها على بعض، ويعني هذا أن النصّ يتشكل مع مجموعة من الجمل أو التراكيب الكلامية المتطابقة خطياً مما يجعله بحاجة إلى أداوت ربط متنوعة تصل بين الجمل (عبابنة والزعبي، ٢٠١٣: ٥٢٨).

ينقسم الاتساق الوصلي في قصيدة «سلي الرماح العوالي» إلى الإضافي، والسببي، والزمني. أما الوصل الإضافي فهو يتمّ عن طريق أداتي «الواو» و«أو». فهنا يربط صورتين بينهما تشابه أو اتحاد. إن أثر أداة «الواو» كان أثراً فاعلاً في اتساق القصيدة؛ بحيث تربط بين العناصر الشعرية وتؤدي إلى اتساق مكوناته التركيبية وترابطها فيما بينها:

ثم انثنينا، وقد ظلت صوارمنا تميس عجبا، ويهتز القنا لينا
تدافع القدر المحتوم همتنا عنا، ونخصم صرف الدهر لو شينا
يطوي لنا الغدر في نصح يشير به ويمزج السم في شهد ويسقينا

فتربط «الواو» في هذه الأبيات بين الكلمات التي تربط السابق باللاحق لتحقق اتساق النصّ والعبارات والجمل. وسبب ذلك يرجع إلى أن الواو هي الأصل وأم الباب في حروف العطف، فهي تدل على إشراك الثاني في أم الباب؛ «لأنها للمطلق ولاتقضي الترتيب ولا تمنعه بل يكون معطوفها لاحقا لتابعه، أي متأخراً عنه في الحكم المنسوب إليهما وهو الأكثر» (العاتكي، ٢٠٠٣: ٤٢٦). وهذا يدل على مدى ترابط هذا الشعر وترابط أحداثها وتلاحم أجزائها، مما يؤدي إلى اتساق القصيدة كلها. أما الوصل التقابلي، فيتمّ عن طريق آليات التعارض أو التقابل من أمثال «لكن»، «رغم»، «أما»، «بل« وغيرها:

وقد نغض ونغضي عن قبائحه ولم يكن عجزا عنه تغاضينا
لكن تركناه، إذ بتنا على ثقة إن الأمير يكافيه فيكفينا

أما الوصل السببي، فمن من خلال آلياته «هكذا، لعل، أي، ف، إذن، ثم» يمكننا إدراك العلاقة المنطقية بين جملتين أو أكثر الربط السبب في هذه القصيدة، ومن ثم تتحقق السببية التي تؤدي إلى اتساق القصيدة:

أخلوا المساجد من أشياخنا وبغوا حتى حملنا، فأخلينا الدواوينا
نغشى الخطوب بأيدينا، فندفعها وإن دهتنا دفعناها بأيدينا
أعطى، فلا جوده قد كان عن غلط منه، ولا أجره قد كان ممنونا

أما الوصل الزمني، فهو علاقة بين جملتين متباعدتين أو متتابعتين زمانيا. ومن أبرز آلياته يمكن أن نشير إلى «ثم، بعد، منذ، الفاء الزمنية» (مسبوق ودلشاد، ١٣٩٦: ٢٢٩). يقوم الوصل الزمني في البيت التالي باستخدام أداة «ثم» التي تبرز ترتيب الأحداث ترتيباً تاريخياً، وهي من أدوات العطف التي تفيد الترتيب مع التراخي، كما أنها تقوم برسم لوحة فنية متكاملة الأجزاء، كل جزء فيها له دور هام يسهل على المتلقّي استيعابها وفهمها، وهذا يرسخ معنى الاتساق وأثره في ذهن المتلقي:

ثم انثنينا، وقد ظلت صوارمنا تميس عجبا، ويهتز القنا لينا

النتيجة

للإجابة عن السؤال الأول يمكن القول إن آليات الاتساق في قصيدة «سلي الرماح العوالي» تتمركز بحسب حاجة الكلمات التي استخدمها الشاعر، ولذلك لا تخلو جملة من أبيات هذه القصيدة من آليات الاتساق. فإن الأداة الأكثر شيوعاً واستعمالاً في هذه القصيدة هي الإحالة (بنسبة ٣٠%) والتكرار (بنسبة ٣٠%). فقد برزت الإحالة في أشكالها المتعددة من الضمائر والموصول والظرف والمقارنة بنسبة ٣٠% من مجموع آليات الاتساق. إن الإحالات الضميرية إلى المتكلم مع الغير (نحنُ؛ نا) وإلى الغائب (واو؛ هم) هيمنت على غيرها في هذه القصيدة، ولا شك أن الاتساق الذي هو الميزة الأسلوبية لنص القصيدة عمل على هذا الضّخم الإحالي للمتكلم والغائب؛ لأن القصيدة تصبّ في غرض الفخر الذي يجعل من قوم الشاعر أشخاصا متعالية. وقد تنوعت أساليب التكرار في القصيدة وتكون من أهم الأساليب التعبيرية التي تعين صفي الدين على تأكيد قصيدته والتركيز على أفكاره إضافة إلى أنه نجحت بهذا التكرار في بناء البنية الإيقاعية المتلائمة في شعره. فهذه الآلية تلعب الدور الأكثر فاعلية في التشكيل الإيقاعي، وتتجلى أهمية إيقاعات التركيب الإيقاعي في التشكيلات المتّسقة، وتأثيرها الخلّاق في إثراء حركة وتفاعل الأجزاء، وتنامي الدلالة واتساقها بين المعنى ومقابله أو ضده أو نقيضه، حيث نجد الجزء من الجملة يقابل معه في حركة إيقاعية نشطة وموحية. فيما جاء الاتساق الوصلي بنسبة ١٢% بأنواع آلياتها المفروضة إلا أنها مساهمة في تحقيق خاصية الاتساق في نص القصيدة. فنرى أن الوصل بالواو أكثر وروداً في النصّ سواء من حيث وسيلة العطف، أو من حيث الوسائل الأخرى. فقد أسهم الاتساق النصي في ترابط أبيات القصيدة، فهو يعمل على الوصل بين الكلمات والجمل والغرض منه حصول المعنى العام في ذهن القارئ كما أنه يعمل على تكثيف الخطاب عن طريق الاختزال وجعله متناسقاً. والجدول التالي يبيّن هذه الملاحظات:

آليات الاتساق في قصيدة «سلي الرماح العوالي»											
	الاتساق النصّي				الاتساق المعجمي			الاتساق الوصلي			
	الإحالة	الحذف	الاستبدال	المجموع	التكرار	التضام	المجموع	الإضافي	السببي	الزمني	المجموع
الرقم	٢٠٥	٦١	٨٣	٣٤٩	٢٠٠	٤٧	٢٤٧	٢٧	٥٢	٢	٨١
القياس	٣٠%	٩%	١٢%	٥١%	٣٠%	٧%	٣٧%	٤%	٨%	٠%	١٢%

للإجابة عن السؤال الثاني للبحث يمكن القول إن آليات الاتساق نجحت في كثير من المواضع في وظيفتها لهذه القصيدة، وقد ساهمت في انسجامها بحيث أصبحت متناسقة في بنيتها الشكلية والدلالية، كما تبين أن نص القصيدة قد ارتبطت قوالب بعضها ببعض وشكلت كلاً متكاملا ومتسلسلة الفكر والهدف. فعلى هذا تبرز هذه القصيدة واحدة من شعر صفي الدين الحلي في الفخر والحماسة المبنية على روح العصبية القبلية، فقد حضّ الشاعر قومَه على طلب ثأر خاله، مثيراً فيهم روح الحماسة والحمية للانتقام من قتلته، مفتخراً بقبيلته وأهله بعد أخذ ثأرهم. وهو يتحدث أثناء القصيدة بواو الجماعة وصيغة الجماعة عن فتية أصبحوا عتاةً متمردين في طلب الخصام يذعرون ويخيفون عدوهم، وهم أهل العقل والرجحان والصدق وعلو المنزلة عند الجماعة. تنبع آليات الاتساق لهذه القصيدة من طبيعة تركيبها اللغوي في خطّية نصّ القصيدة، كما يرتكز على العلاقات اللغوية التي تجسد المعنى كالإحالة، والتكرار، والتضام والذي ينشئه هو الكلمات المتراصفة بعضها إلى جانب الأخرى والتي يأخذ بعضها بعنق البعض الآخر. فإن للاتساق دوراً هاماً في بنية هذه القصيدة؛ إذ أنه يتيح لمحلّل النصّ

الوقوف على الظواهر الشكلية للنص، ومن ثم الوقوف على ما تحمله تلك الظواهر من المعاني التي أراد المرسِل إلقاءها للمتلقّي.

المصادر والمراجع

١. أبو زنيد، عثمان (٢٠١٠). **نحو النصّ : إطار نظري ودراسات تطبيقية**. ط١. أردن: الإربد.

٢. بخولة، بن الدين (٢٠١٤). **الاتساق والانسجام النصّي الآليات والروابط**. ط١. الجزائر: دار التنوير.

٣. حسان، تمام (٢٠٠٧). **اجتهادات لغوية**. ط١. القاهرة: عالم الكتب.

٤. حمودة، طاهر سليمان (١٩٩٨). **ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي**. ط١. الإسكندرية: الدار الجامعية.

٥. خطابي، محمد (١٩٩١). **لسانيات مدخل إلى انسجام الخطاب**. ط١. بيروت: المركز الثقافي العربي.

٦. شبل محمد، عزة (٢٠٠٧). **علم لغة النصّ بين النظرية والتطبيق**. ط١.القاهرة: مكتبة الآداب.

٧. صبحي، إبراهيم الفقي (٢٠٠٠). **علم اللغة النصّي بين النظرية والتطبيق**. ط٢. القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر.

٨. الصبيحي، محمد الأخضر (٢٠٠٨). **مدخل إلى علم النصّ ومجالات تطبيقية**. ط٢. بيروت: الدار العربية.

٩. العاتكي، ابن زيد (٢٠٠٣). **الفضة المضية في شرح الشذرة الذهبية**. تحقيق: هذاع سعد المرشد. ط١. الكويت: السلسلة التراثية.

١٠. فضل، صلاح (١٩٩٦). **بلاغة الخطاب وعلم النصّ**. ط١. القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر.

١١. يول، جورج؛ براون، جيليان (١٩٩٨). **تحليل الخطاب**. ترجمة: محمد لطفي الزليطي. ط١. الرياض: جامعة الملك سعود.

١٢. پيراني شال، علي وآخرون (١٣٩٧). «انسجام پيوندى و جلوههاى زيبايى آن در مقامة ساويّه حريرى بر اساس نظريه هاليدى و رقيه حسن». زبان و ادبيات عربى. دوره١٠. شماره١٩. صص ٩٥-١١٤.
Doi: 10.22067/JALL.V10I19.66616

١٣. عبابنة، يحيى والزعبي، آمنة صالح (٢٠١٣). «عناصر الاتساق والانسجام النصّي: قراءة نصية تحليلية في قصيدة أغنية لشهر أيار لأحمد عبدالمعطي حجازي». مجلة جامعة دمشق. السنة٢٩. العدد٢. صص ٥٠٧-٥٥٠.

١٤. مسبوق،سيدمهدي، دلشاد، شهرام (١٣٩٦). «انسجام پيوندى و كاربست آن در ابيات توصيف گرگ بحترى». زبان و ادبياتعربى. دوره٩. شماره١٦. صص ٢٢٥-٢٤٥.Doi: 10.22067/JALL.V8I16.59045

١٥. ميرأحمدي، رضا؛ آقاجاني، مريم (١٣٩٦). «عناصر برجستة انسجام در بائية متنبّى بر اساس نظريه هليدى». زبان و ادبيات عربى. السنة٩. العدد١٧. صص ٢٣٣-٢٦٦. Doi: 10.22067/JALL.V8I17.58049

١٦. نائل، محمد إسماعيل (٢٠١١). «الإحالة بالضمائر ودورها في تحقيق الترابط في النصّ القرآني: دراسة وصفية تحليلية». مجلة جامعة الأزهر. السنة١٢. العدد١. صص ١٠٥٥-١٠٧٢.

١٧. زايدي، فاطمة (٢٠١٢). «الاتساق والانسجام في شعر رزاق محمود الحكيم دراسة في ديوان الأرق». جامعة الحاج لخضر باتنة: أطروحة الدكتوراه.

References

Ababna, Y. and A. Al-Zubay. (2013). "Cohesive Devices: An Analytical Study of the May Ode by Ahmad Abdolmati Hejazi". University of Damascus: *Journal of the University of Damascus*. 29 (2). 507-550. [In Arabic]

Abuzanid, U. (2010). *Text Grammar: Theoretical Framework and Comparative Studies*. 1th ed. Jordan: Al-Urbd. [In Arabic]

Al-Ataki, I. Z. (2003). *Shining pearls in the book Golden lights*. Research: Hozaa Saad Al-Murshid. 1th ed, Al-Kuwait: Traditional collection. [In Arabic]

Al-Sabihi, M. A. (2008). *Introduction to text linguistics and contexts*. ,2th ed, Beirut: Al-Arabiya Publications. [In Arabic]

Bakhwala, I. A. (2014). *Cohesive Devices*. 1th ed. Algeria: Al-Tanwir Publications. [In Arabic]

Fazl, S. (1996). *Rhetorical Analysis of Discourse and Text Analysis*. 1th ed. Cairo: Egypt Global Publishing Institute. [In Arabic]

Halliday, M&Roqiye Hassan.(1976). *Cohesion in English*. 1th ed, London: Longman.

Hamouda, T. S. (1998). *Elimination phenomenon in language studies*. 1th ed. Alexandria: Al-jameiiah Publications. [In Arabic]

Hassan, T. (2007). *Linguistic researches*. 1th ed. Cairo: Alam Al-kutub. [In Arabic]

Khatabi, M. (1991). *Linguistics of discourse coherence*. 1th ed. Beirut: Arab Cultural Center. [In Arabic]

Masboogh, S. M. & Sh. Delshad. (2018). "Conjunctive Cohesion and its Application in Buhturi's Verses Describing the Wolf". *Arabic Language and Literature*. 9 (16). 225-243. [In Persian] Doi: 10.22067/JALL.V8I16.59045

Mirahmadi R. & M. Aghajani. (2017). "Prominent Manifestations of Consistency in Motanabbi's Baeyyeh". Ferdowsi University: *Arabic Language and Literature*. 9 (17). 233-266. [In Persian] Doi: 10.22067/JALL.V8I17.58049

Naeil, M. S. (2011). "Reference by pronoun and its role in the coherence of the text of the Qur'an: descriptive-analytical research". Gaza: *Al-Azhar*. 12 (1). 1055-1072. [In Arabic]

Piranishal, A. & Others. (2018). "The role of cohesion and its beautiful effects According to Halidy and Hasan. *Arabic Language and Literature*. 10 (19). 95-114. [In Persian]

Shebl Mohammad, A. (2007). *Text Linguistics: Theory and Function*. 1th ed. Cairo: Maktabah Al-Aadab. [In Arabic]

Sobhi, I. A. (2000). *Text Linguistics: Theory and Function*. 2th ed. Cairo: Quba Publications. [In Arabic]

Yule, G. & G. Brown. (1998). *Discourse Analysis.* Translated by: Mohammad Lotfi Al-Zaliti. 1th ed. Riyadh: King Saud University. [In Arabic]

Zaedi, F. (2012). "Cohesive Devices in the Poetry of Razzaq Mahmoud Al-Hakim: A Study of the Al-Araq". *Al-Haj University Lakhdar Batna*: PhD Thesis. [In Arabic]